بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية

الاستشراق لغة:

الاستشراق لغة: مصدر الفعل (استشرق)، وقد ذكر صاحب معجم متن اللغة: أنها (مولدة عصرية) (١)، ولكن إذا أُمعن النظر في هذا الفعل وجد أن بعض حروفه مزيد وبعضها أصلي.

أما المزيد فهي همزة الوصل والسين والتاء، وزيادة همزة الوصل لئلا تُبْدَأ اللفْظَةُ بساكن (لأنَّ الابْتداءِ بالساكِنِ مُمْتَنِع) (٢)، وأما السين والتاء فتستعملان للطلب، كقولهم: استخرج استخراجًا، والاستخراج: طلب الخروج، واستصحب استصحابًا والاستصحاب لطلب الصحبة. . . وتستعملان بمعنى التحول والانتقال كقولهم: استحجر الطين؛ أي: صار حجرًا، وكقولهم: (استنوق الجمل، استيست الشاة؛ أي: صار الجمل كالناقة في طباعها، وصارت الشاة كالتيس، ومنه المثل: (إن البغاث بأرضنا يستنسر) (٣) (٤).

الاستشراق هو دراسة الغربيين للعالم الشرقي في مجالات الثقافة، التاريخ، اللغات، والأديان، مع تاريخ طويل من الارتباط بالاستعمار والتنصير من منظور نقدي يراه بمثابة بناء متخيل للشرق لدعم الهيمنة الغربية، كما أوضحه إدوارد سعيد في كتابه الشهير "الاستشراق".

المعنى اللغوي والاصطلاحي:

**لغوياً:**

يُشتق من كلمة "شرق"، ويعني الميل نحو الشرق أو طلب علمه.

**اصطلاحياً:**

يُشير إلى الدراسات التي أجراها علماء غربيون في مجالات الشرق، كالآداب والعلوم واللغات والحضارات.

الاستشراق في سياق الأكاديميين العرب والمسلمين:

يرى العديد من الأكاديميين العرب والمسلمين أن الاستشراق حركة ذات دوافع خفية، وأهدافها تتمثل في:

**خدمة الاستعمار:**

توفير معلومات ودراسات تدعم السيطرة الاستعمارية الغربية على الشرق.

التنصير:

استغلال المعرفة بالشرق كمنصة لنشر المسيحية وتشجيع التنصير في البلاد الإسلامية.

تحطيم الإسلام:

استخدام الدراسات لتقويض الإسلام والتشكيك في عقائده.

نقد الاستشراق (من منظور إدوارد سعيد):

تصوير متعالٍ:

يرى إدوارد سعيد، في كتابه "الاستشراق"، أن المصطلح يشير إلى موقف غربي متعالٍ يخلق صورة نمطية عن الشرق بأنه بدائي وجامد وغير متطور.

الهيمنة الثقافية:

الاستشراق هو وسيلة غربية للهيمنة على الشرق وإعادة تشكيله وفقاً لرؤية الغرب، وفقاً لـ الجزيرة نت سعيد.

استمرارية الاستعمار:

حتى بعد انتهاء الاستعمار السياسي، استمرت الهيمنة الغربية في أشكال جديدة من خلال الاستشراق.

عرف الاستشراق بتعريفات عدة، بعضها يتناول الاستشراق من حيث موضوع دراساته أو أسلوبه في تلك الدراسات أو منطلق البحث أو غايته أو ارتباطاته الدينية والسياسية وحركته، وبعضها الآخر يتناول المستشرقين أشخاصًا وفئات.

فأما الاستشراق موضوعًا وحركة وإنتاجًا ومنهجًا فقد عرف بتعريفات كثيرة من أبرزها الآتي:

١ - عرفه المستشرق الألماني (رودي بارت) بقوله: (الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي) (٢).

٢ - وعرفه إدوار سعيد بقوله: (الاستشراق أسلوب في الفكر قائم على تمييز. . . بين الشرق في معظم الأحيان والغرب) (٣).

وقال -أيضًا-: (الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه وحكمه.

[العوامل التي ساعدت على تطور الاستشراق:

كانت فكرة حرب الأمة الإسلامية حربًا ثقافية مطروحة على الفكر الغربي قبل الحروب الصليبية، ولكن كفة المواجهة العسكرية كانت الراجحة، أما بعد الحروب الصليبية فقد رجحت كفة الحرب الثقافية، وهذا يعني دعم المستشرقين ودفع الحركة الاستشراقية، وقد ساعدت عوامل عديدة على تطور الدراسات الاستشراقية حتى بلغت أوج ازدهارها في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

[وفيما يأتي إبراز لأهم تلك العوامل والتطورات]

١ - مما ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية في نهاية العصر الوسيط ما كان من الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت رقعتها حينذاك، وكان للروابط الاقتصادية لكل من إسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر أثر كبير في دفع الحركة الاستشراقية (١).

٢ - وفي القرن السادس عشر الميلادي وما بعده ساعدت ما تدعى (النزعة الإنسانية) في عصر النهضة الأوروبية على تقدم الدراسات الاستشراقية بأساليب جديدة قد تكون أقرب للموضوعية من ذي قبل، ومن جهة أخرى شجعت البابوية الرومانية على دراسات الشرق من أجل التنصير (٢).

وكان مما يرمي إليه كذلك محاولة صرف أنظار الأوروبيين عن أن تتوجه بالنقد المعادي لسلطة الكنيسة من خلال إيجاد عدو خارجي تعمل

**[دوافع الاستشراق ومظاهر نشاطه]**

يتضح من تاريخ الاستشراق، في جذوره الضاربة في أعماق تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، وما حدث له من تطور، وعلاقات متنوعة؛ جملة من الدوافع، ولكل دافع منها أهداف يسعى لتحقيقها، وأن الاستشراق اتخذ وسائل وأساليب كثيرة، وعمل في مجالات واسعة، ظهر من خلالها نشاط المستشرقين؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: الدوافع الاستشراقية:

يمكن بيان هذه الدوافع (وما ترمي إليه من أهداف) على النحو الآتي:

١ - دوافع دينية.

٢ - دوافع سياسية.

٣ - دوافع اقتصادية.

٤ - دوافع علمية.

ولكل دافع من هذه الدوافع أهداف، وقد تنوعت كتابات الباحثين في تحديد هذه الدوافع والأهداف، واختلفت مسمياتها لديهم وتقسيماتهم لها (١)، ومهما كان الأمر فإن (الدوافع تلتقي مع الأهداف، باعتبار أن

الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائية من العمل) (١)، والدافع الديني هو أهم هذه الدوافع (٢)، ثم يليه الدافع السياسي ثم الاقتصادي، ويأتي الدافع العلمي متأخرًا، وضئيلًا بالنسبة للدوافع الأخرى، وفيما يأتي توضيح لهذه الدوافع وأهدافها:

**[١ - الدافع الديني]**

هو المحور الأساس الذي ارتكزت عليه الحركة الاستشراقية، وقد تبين من استعراض تاريخ الاستشراق بأنه نما وترعرع في أحضان الكنيسة وكانت بدايته على أيدي الرهبان النصارى، وأنه استمر في خدمة التنصير ولم ينفصل عنه إلا نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وكان ذلك الانفصال شكليًا، أما واقع الأمر فإنه يصعب التفريق بين المستشرق والمنصر حتى في العصر الحديث، وكان لهذا الدافع عدة أهداف من أبرزها:

أ - حماية النصارى والشعوب التابعة للكنيسة من الدخول في الإسلام.

ب- الحد من انتشار الإسلام على حساب امتداد النصرانية ونشرها.

جـ- التعرف على الإسلام ولغته بهدف تشكيك المسلمين به ومحاولة تنصيرهم.

د- معرفة اللغة العربية ودين الإسلام بهدف التعمق عن طريقهما في العهد القديم (التوراة) للاعتقاد بوجود التشابه بين اللغة العربية واللغة العبرية، بل ذهب أحد المستشرقين وهو (دوزي) إلى دعوى التشابه بين لغة اليهود ولغة قريش (١)، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنهم يزعمون أن الإسلام مقتبس من اليهودية فلزم لذلك أن يدرسوا اللغة العربية والإسلام للتعمق في العهد القديم باعتباره جزءًا من الكتاب المقدس، وباعتبار الإسلام ولغته اللغة العربية يخدمان بطريق غير مباشر هذا الهدف الديني للاستشراق.

وقد أكد هذا الهدف (شولتنس) بقوله: (لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الأدبية أو للتعمق في تاريخ الإسلام أو لدرس تطور الأدب عند المسلمين، بل لاستعمالها وسيلة درس العهد القديم واللغة العبرانية) (٢).

هـ - إشغال الشعوب الغربية عن الهجوم على الكنيسة ومعتقداتها بالهجوم على الإسلام، وتوجيه الأنظار إليه باعتباره عدوًّا للكنيسة والشعوب الغربية (٣).

**[٢ - الدافع السياسي]**

ما برح هذا الدافع ملازمًا للحركة الاستشراقية في كثير من مراحلها وأطوارها إذ انبرى نفر من المستشرقين لتقديم دراسات تتناول الأمة الإسلامية جغرافيًا وسياسيًا (فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموها) (١)، ومن خلال تاريخ الاستشراق تبين كذلك أن المسار العام للحركة الاستشراقية قد تلوّن في مرحلة الاستعمار بما يتناسب معها، وتكونت بسبب ذلك (رابطة رسمية بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه (٢). . .).

وتبين أن الاستشراق خدم الاستعمار قبل دخوله بلاد المسلمين وأثناء دخوله وبعد خروجه، وجاء ليحقق في تلك المراحل الثلاث جملة من الأهداف السياسية من أبرزها:

أ- تبرير نزعة الاستعمار ودعمها بوساطة الكشف للمستعمرين عن مواطن الضعف في المجتمعات الإسلامية لاستغلالها في السيطرة والنفوذ والكشف عن مواطن القوة للعمل على إضعافها.

ب- إضعاف روح المقاومة لدى الشعوب التي سيطر عليها المستعمرون وإخضاعهم لسلطة المستعمر وثقافته وحضارته.

جـ- تحقيق غايات سياسية متنوعة تفرضها المراحل المتعاقبة وما تحيط بها من الظروف والأوضاع المختلفة التي ترمي في النهاية إلى احتواء الأمة الإسلامية من كل الجوانب، والتحكم في مصيرها، وفرض التبعية على أبنائها.

[٣ - الدافع الاقتصادي]

ومن الدوافع لدراسات المستشرقين دافع اقتصادي يُعنَي بوسائل كسب الأموال وتنميتها وفتح أسواق للصناعات الغربية في الشرق والحصول على المواد الخام منه، وهذه المصالح دفعت إلى دراسات عدة قام بها المستشرقون عن الشرق وأهله وعاداتهم وطبائعهم وطرائق معيشتهم، وأدى هذا الدافع من جانب آخر إلى البحث عن مصادر المواد الخام والطاقة ونحوها، وإذا كانت مثل هذه الدراسات الاقتصادية تهدف من حيث الأصل إلى الانتفاع بها في أسلوب التعامل مع شعوب العالم الإسلامي في مجالات التبادل التجاري والصناعي والتنمية دون ربط ذلك بالأغراض السياسية إلا أن الاستشراق تجاوز ذلك كله، وانطلق في هذا المجال بروح عنصرية طاغية وأساليب سياسية ملتوية، وقد عبر أحد المفكرين المسلمين عن ذلك بقوله: (ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كان لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين) (١).

**٤ - الدافع العلمي**

لا يمكن للباحث في الاستشراق أن يتجاهل الدافع العلمي النزيه لدى نفر من المستشرقين توافروا على دراسة الإسلام ولغته بغية معرفة الحقيقة والتجرد من كل مؤثر، ولكن المناخ الاستشراقي العام في مسار حركته الطويلة لا يساعد هؤلاء على الظهور والانتشار.

وأقصى ما يتحقق في هذا أن يبرز أفراد اتسمت دراساتهم أن بعضها بالتجرد ووصلت إلى نتائج أقرب لحقيقة الإسلام وأكثر إنصافًا للمسلمين، وربما أسلم بعضهم. . . وثمة أسباب جعلت هذا الدافع ضعيفًا وغير منتج في تاريخ الاستشراق والمستشرقين، ومن أبرزها:

العداء الشديد للإسلام الذي سيطر على الشعور العام في الغرب عبر مراحله التاريخية، وقد أسهم الاستشراق فيه بقدر كبير، فإذا ظهر بين الحين والآخر من ينصف الإسلام فإن بحوثه لا تجد (رواجًا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند عامة الباحثين) (١). بل رُبَّما أدَّى ذلك إلى أن يعني ذلك المستشرق صنوفًا من الأذى والمتاعب (٢).

أثار المستشرقون شبهات كثيرة حول القرآن الكريم بكل ما يتعلق بتاريخه وعلومه، ولقي موضوع الوحي القرآني بالذات اهتمام الباحثين فتناولوا بالبحث نزول القرآن مـا لم يلقه موضوع آخر من الموضوعات التي اهتمت بهـا الدراسات الاستشراقية، ويعود ذلك إلى أسباب عدة منها: